دور الأغالبة في تنشيط تجارة البحر المتوسط
١٨٤ـ ٢٩٦هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩م

دكتورة/ فوزية محمد نوح(*)

تعتبر فترة حكم الأغالبة في إفريقية من أفضل فترات تاريخها ، فقد دامت هذه الفترة أكثر من قرن من الزمان ساد في أثنائها الاستقرار السياسي النسبي لبلاد إفريقية، كما ازدهرت الأوضاع الاقتصادية بها، وغدت دولة الأغالبة سيدة البحر المتوسط بلا منازع، وذلك بعد أن ضعفت شوكة الإمبراطورية البيزنطية، وفقدت السيطرة عليه ، ولعل تتويج الأغالبة انتصاراتهم ونجاحاتهم بفتح صقلية (Sicilia) وغيرها من جزر المتوسط، جعلتهم القوة الوحيدة في حوض البحر المتوسط، مما أهلها لأن تسيطر على عصب التجارة به، ومن هذه المنطلق ارتأيت أن أكتب عن أهمية الأغالبة ودورهم في تنشيط التجارة بحوض المتوسط، وذلك من خلال بحثي والذي عنونته بـ **«دور الأغالبة في تنشيط تجارة المتوسط ١٨٤هـ/٨٠٠م – ٢٩٦هـ/٩٠٩م»**.

وقد اشتملت خطة البحث على المقدمة سابقة الذكر وتمهيد تناولنا فيه : نبذة مختصرة عن الدولة الأغلبية ، والقوة البحرية البيزنطية على البحر المتوسط قبل سيطرة الأغالبة.

أما المبحث الأول فنوضح فيه العوامل المؤثرة في النشاط التجاري لدولة الأغالبة في حوض البحر المتوسط.

وجاء المبحث الثاني في ذكر المراكز التجارية للدولة الأغلبية والتي منها مرافئ وموانى الأغالبة في حوض البحر المتوسط، وكذلك المدن التجارية للدولة الأغلبية.

(*) قسم التاريخ. كلية الشريعة. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية

وفي المبحث الثالث تناولنا بالتفصيل البضائع والسلع المتبادلة بين مدن حوض البحر المتوسط.

وأنهينا البحث بخاتمة استعرضنا فيها أهم نتائج البحث وتوصياته، وأردفناها بملاحق ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، تلتها فهرس للموضوعات.

هذا وأسأل الله بمنه وفضله التوفيق والسداد

التمهـــــيد

أ - نبذة مختصرة عن الدولة الأغلبية :

لقد استطاع إبراهيم بن الأغلب ابن سالم التميمي أن يؤسس دولة الأغالبة في المغرب الأدنى، فقد عينه الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧١-١٩٣هـ) على ولاية افريقية سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)[١]، ثم ما لبث أن عرض على الرشيد الاستقلال الجزئي على الخلافة العباسية، والاكتفاء بالتبعية الاسمية مقابل دفعه للخلافة العباسية مبلغاً من المال في كل سنة، فوافق له الرشيد على هذا الطلب، جعله والياً على البلاد في مستهل سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، بعد أن تعهد بدفع أربعين ألف دينار سنوياً إلى بيت مال الخلافة في بغداد، والاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تقدمها مصر إلى أفريقية ومقدارها مئة ألف دينار[٢].

بدأ إبراهيم ولايته ببناء مدينة العبّاسية سنة (١٨٤-١٨٥هـ/ ٨٠٠ -٨٠١م) في الجنوب الشرقي من القَيروَان، واتخذها عاصمة له، كما قضى على جميع الثورات الداخلية والتي حاولت الإطاحة بحكمه، وقد بلغ من استقلاله بما تحت يده وقوة

(١) دخل الأغلب بن سالم إفريقية مع قوات محمد بن الأشعث سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م، وعهد إليه الخليفة العباسي المنصور بولاية إفريقية (تونس) سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م، ولكن سهماً أصابه سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م أدى إلى وفاته فعرف بالشهيد، وكان ابنه إبراهيم صغيراً، لم يتجاوز عمره عشر سنين، فقضى صباه في الدرس والتحصيل في الفسطاط (مصر). ولما شبّ دخل في جند مصر، ثم أتيح له دخول المغرب في ولاية الفضل بن روح فيما بين ١٧٧ - ١٧٩هـ/ ٧٩٤-٧٩٦م، وتوصل بفضل شجاعته وحسن تدبيره إلى تولي منطقة الزاب في ولاية هَرْثَمة بن أَعْيَنِ لإفريقية، ثم قام بنصرة واليها الجديد محمد بن مُقاتِل بعد أن تغلب عليه أحد عماله سنة ١٨١هـ/ ٧٩٨م، ورده إلى إمارته. محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، ج١، ص ٤٩.

(٢) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية «التاريخ السياسي ١٨٤ - ٢٩٦هـ»، تعريب: المنجي الصياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٤٩؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الأغالبة وسياستهم الخارجية، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٢هـ، ص ٤٩.

نفوذه أنه استقبل شارلمان في العباسية حاضرة الإمارة، وعقد هدنة مع حاكم صقلية نصت على مفاداة الأسرى[١].

وبعد وفاة إبراهيم بن الأغلب سنة (١٩٦هـ/٨١٢م)، خلفه في الحكم ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم (١٩٦-٢٠١هـ/ ٨١٢ -٨١٧م) غير أنه لم تطل مدة حكمه، حيث وافته المنية سنة (٢٠١هـ/٨١٧م)[٢]. فتولى الإمارة بعده أخوه زيادة الله (٢٠١- ٢٢٣هـ/٨١٧ - ٨٣٧م)، وقد استطاع القضاء على الثورات التي واكبت بداية حكمه[٣]، وبعد أن استتب الأمر له قرر الشروع بفتح صقلية سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، فجهز حملة أسند قيادتها إلى القاضي الفقيه أسد بن الفرات[٤].

وفي سنة (٢٢٣هـ/٨٣٨م) توفي زيادة الله وخلفه في الإمارة أخوه الأغلب أبو عقال (٢٢٣-٢٢٦هـ/ ٨٣٨ -٨٤١م)، والذي تمتعت البلاد في زمنه بالأمن والاستقرار[٥].

وبعد وفاة الأغلب أبو عقال سنة (٢٢٦هـ/ ٨٤١م)، خلفه ابنه أبو العباس

(١) علي بن محمد بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٥، ص ١٢١؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) محمد بن محمد بن عذاري (ت٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ريخرت دزري، مكتبة صادر، بيروت، ١٨٤٨م، ، ج١، ص١٢١؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، مكتبة الثقافة، بيروت، ج٤، ص ١٠٦.

(٣) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ١١٠؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٢٤؛ الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ١٨٧.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ، ج١، ص ١٠٢؛ أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، طبع سيركوز، ١٣٦٥هـ، ص٦٠.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٥٣؛ ابن عذاري: البيان المعرب ، ج١، ص ١٢٩؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٧٧.

محمد (٢٢٦-٢٤٢هـ/٨٤١-٨٥٦م) الذي كان من أطول أمراء الأغالبة عهداً كانت أوضاع البلاد فيها مستقرة فقد استطاع القضاء على كافة الثورات التي من الممكن أن تعكر صفو حكمه[١]. أما عن السياسة الخارجية في عهده فأهمها استمرار الفتوح في صقلية، والاستيلاء على بعض المناطق في جنوبي إيطالية حتى قاربت قواته روما[٢].

وبعد وفاه محمد بن الأغلب سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م)، تولى الملك ابن أخيه أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م)، وكان حسن السيرة، كريم الأخلاق، انصرف إلى أعمال البر والخير، أما عن الفتوح في صقلية، فقد استولى على عدد من مدن صقلية المهمة[٣].

ثم تولى الحكم زيادة الله الثاني (٢٤٩ - ٢٥٠هـ/ ٨٦٣ -٨٦٤م)، الذي كان عاقلاً حلياً حسن السيرة[٤]، وخلفه ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد (٢٥٠-٢٦١هـ/ ٨٦٤- ٨٧٥م)، استطاع إعادة فتح جزيرة مالطة (Malta) سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م)، بعد أن كانت قد خرجت من يده سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)[٥].

وبعد وفاته سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٩م)، خلفه في الحكم ابنه أبو عقال الأغلب، وكان صغيراً فتولى عمه إبراهيم بن أحمد الوصاية عليه، ثم ما لبث أن انفرد بالإمارة[٦]، استطاع فتح بعض المدن في صقلية كسرقوسة (Siracusa) وطبرمين

(١) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١١٩؛ ابن عذاري: البيان المعرب، ج١، ص ١٤٢؛ الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٢٤٨- ٢٥١.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٤٣، ١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٨١.
(٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٢٣؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص١٠٠.
(٤) الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٢٧٤.
(٥) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص١٠٦؛ الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٨٨.
(٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٣٥.

(Trabia). ثم اعتزل الحكم سنة (٢٨٨هـ/٩٠١م)، ثم استقر بعد ذلك في صقلية مجاهداً حتى وفاته سنة (٢٨٩هـ/ ٩٠٢م)[١].

تولى الإمارة بعد إبراهيم ابنه أبو العباس عبد الله (٢٨٩-٢٩٠هـ/ ٩٠٢-٩٠٣م)، وكان ساعد أبيه الأيمن في حروبه في مختلف الأقاليم، ولاسيما في قيادة الجيوش في صقلية، اغتيل في السنة نفسها[٢]، وآلت الولاية إلى ابنه زيادة الله بن أبي العباس (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م) ، شهد عهده انتصارات الفاطميين المتوالية على إمارة الأغالبة، وإخفاقه في وقف المد الفاطمي، على الرغم من محاولاته الاتصال بالخلافة العباسية طالباً النجدة ، ففر إلى بلاد المشرق، وتولى ابن عمه إبراهيم بن أبي الأغلب الإمارة، ولكن الناس ثاروا عليه، واضطروه إلى الخروج من العاصمة ودخل الفاطميون القيروان، وخلع الصقليون طاعة الأغالبة، وأعلنوا طاعتهم للفاطميين وبذلك سقطت دولة الأغالبة سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م)[٣].

ب - القوة البحرية البيزنطية على البحر المتوسط قبل سيطرة الأغالبة :

لقد كانت القوة البحرية التي فرضت سيادتها على البحر المتوسط قبل المسلمين هي القوة البحرية البيزنطية. وقد أثر ذلك على اختيار المسلمين لعواصمهم، ، فعاصمة مصر في الفسطاط، وعاصمة أفريقية في القيروان، وعاصمة الأدارسة في فاس، وقرطبة عاصمة الأندلس، وقد اشتركت هذه العواصم في صفة واحدة هي

(١) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير «العصر الإسلامي»، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٤٠.

(٢) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ١٣٣.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ١٢، ص ٢٦٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في عصر الإسلام، «دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية»، دار النهضة العربية، بيروت، ج٢، ص ٢٨٩ - ٣٣٤.

بعدها عن البحر لتكون في مأمن من مفاجأته. وفي ختام القرن (٢هـ/٨م) كانت لا تزال هيمنة البحرية البيزنطية على البحر المتوسط لا تزال قائمة[١].

فقد تحكمت البحرية البيزنطية في المضائق البحرية في البحر المتوسط، هذا بجانب هيمنتها على النشاط التجاري وفرضها نوعاً من الرقابة التجارية على الشواطئ الإسلامية كذلك حالت البحرية البيزنطية دون قيام مسلمي شمال أفريقية بنشاط تجارى من قواعدهم البحرية في تونس، وذلك بواسطة أساطيلهم الموجودة في صقلية وقوصرة والتي كانت تهدد دائما المدن والموانئ الأغلبية على ساحل البحر المتوسط[٢].

أما فيما يتعلق بالعلاقات التجارية بين البيزنطيين ومسلمي شمال أفريقية فمعلوماتنا ضئيلة جداً في هذا الموضوع، ومع ذلك فتوجد بعض الحقائق التي تؤكد وجود تعامل تجارى عن طريق صقلية خلال السنوات الأخيرة من القرن (٢هـ/٨م)، والأولى من القرن (٣هـ/٩م)[٣].

ومن هذه الحقائق ما جاء من مواد خاصة بالتجارة في اتفاقية الهدنه التي عقدت بين الأمير الأغلبى إبراهيم ابن الأغلب (١٨٤-١٩٧هـ/٨٠٠-٨١٢م) مؤسس دولة الأغالبة وبين حاكم صقلية البيزنطى البطريق قنسطنطين في سنة (١٨٩هـ/٨٠٤-٨٠٥م)، وكذلك اتفاقية الهدنه التي كانت بين الأمير الأغلبي أبو العباس عبد الله وبين جريجوري- القائد البيزنطي بصقلية في سنة (١٩٨هـ/٨١٣م)، فقد كان يتقرر في هذه الاتفاقيات تأمين سلامة التجار من الجانبين، ومن هذه الاتفاقيات يتضح

(١) ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م، ص ١٦٢.
(٢) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٢٩.
(٣) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ١٧٦.

وجود تجار من صقلية في شمال أفريقية، وتجار من مسلمي شمال أفريقية في صقلية، يستفيدون في عمليات التبادل التجاري من بنود هذه الاتفاقيات والراجح أن زيت الزيتون كان - كما كان الحال قبلا- أهم ما كان يصدره المغرب مقابل حصوله على بضائع الشرق التي يتجر فيها البيزنطيون(١).

وكانت الأندلس تشذ عن هذه الرقابة البحرية البيزنطية على تجارة البحر المتوسط، ويرجع ذلك لأن الأندلس كانت ترتبط بها بيزنطة بعلاقات الصداقة منذ عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١، ٨٢٢-٨٥٢م)(٢).

وكان من المشكوك فيه استمرار وجود رقابة بيزنطة على شواطئ شمال أفريقية فيما بين سوسة وقابس وبين مصر وسورية، إذ كان من الصعب على بيزنطة- أن لم يكن من المستحيل- أن تغلق تماماً جميع طرق التجارة البحرية من قواعدها في كريت وصقلية وقبرص ومالطة (Malta) وقوصرة («بانتليريا بالإيطالية» Pantelleri) في وجه العلاقات التجارية البحرية بين المغرب ومصر وسورية(٣).

(١) شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي والبشير سلامة، ط٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م، ص ١٣٢؛ ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ١٧٦.

(٢) بالنسبة لعلاقات الصداقة بين الأندلس وبيزنطة، تتضح من خلال ما تم بينهما من سفارات ومعاهدات، ففي سنة (٢٢٥ هـ/٨٣٩-٨٤٠م) وفد على قرطبة سفير من قبل قيصر القسطنطينية الامبراطور تيوفيلوس (٢١٤-٢٢٨هـ/ ٨٢٩-٨٤٢م)، ومعه كتاب وهديه فخمة. فاستقبله الأمير عبد الرحمن بحفاوة، وقد رد الأمير عبد الرحمن على سفارة تيوفيلوس بمثلها. أنظر ابن حيان القرطبى (ت ٤٦٩هـ): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م، ص ٢٥٢، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، «من الفتح إلى بداية عصر الناصر»، العصر الأول - القسم الأول- ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٩٢.

(٣) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٣٠؛ ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ١٧٧.

كذلك حدث في فترة الرقابة التي فرضتها بيزنطة على تجارة البحر المتوسط أن بعض الموانئ الإيطالية التي كانت تخضع اسماً فقط لهذه الرقابة أن خالفت هذه النظام، وقد جاءت البندقية في مقدمة هذه الموانئ، إذ كانت تتمتع بحكم ذاتي تحت السيادة البيزنطية. ومنذ سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) كان لها بحرية تتكون من ستين إلى ثمانية سفينة، ووصلت مصالحها التجارية إلى ما وراء الحدود البيزنطية بفضل حفاظها بصفة عامة على رابطة الولاء نحو بيزنطة. لكن بالرغم من القيود التي كانت تفرضها بيزنطة، فقد نشط التجار البنادقة في تصدير الرقيق والخشب لمدن الشواطئ الإسلامية. وفي عام (١٣١هـ/٧٤٨م) اشتروا رقيقا من روما ذاتها، ليجنوا ثمار تلك التجارة الرابحة. ومن الراجح أن هذه التجارة هي أصل قدومهم تجاراً في ثغور أفريقية الشمالية[١].

ومن المحتمل أن تكون تجارة شمال أفريقية واسبانيا وصلت زمن البيزنطيين إلى روما عن طريق موانئ جنوب إيطاليا كميناء نابلي، وذلك لما لدى هذه الموانئ من رغبة شديدة في الخلاص من القيود الاقتصادية التي تفرضها بيزنطة عليهم، ومع بداية القرن (٣هـ/٩م) بدأ الموقف يتغير في أفريقية. هذا إلى جانب بداية إهمال بيزنطة شأن قوتها البحرية وربما يرجع هذا إلى أوائل عهد الملكة ايرين (١٨١-١٨٧هـ/٧٩٧-٨٠٢م)، وإن لم تظهر آثار هذا الإهمال بصفة واضحة إلا في نهاية عهدها. ثم جاء خليفتها، نقفور (١٨٧-١٩٦هـ/٨٠٢-٨١١م) فوجد البحرية البيزنطية في حالة يرثى لها[٢].

وهكذا في الوقت الذى أخذت فيه البحرية البيزنطية تضعف أخذت دول البحر المتوسط الأخرى تزيد من قوتها، وتدعيم أساطيلها البحرية، وفي مقدمة هذه الدول

(١) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ١٧٩.
(٢) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ١٦٢، ١٨٠.

الدولة الإسلامية في مصر والشام، والأغلبية في أفريقية، والأموية في الأندلس، إلى جانب المدن البحرية الإيطالية.

فكانت بداية معرفة أعداء بيزنطة بضعفها بحرياً عندما نجح مسلمو الأندلس - بعد رحيلهم من الإسكندرية - في النزول بجزيرة إقريطش («كريت» crete) سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)، ثم استكملوا سيادتهم على الجزيرة في سنة (٢٣٠هـ/٨٤٥م)، وقد دانت الجزيرة لمسلمي الأندلس، وسيطروا عليها وعلى منطقة بحر إيجة قرابة قرن ونصف[١].

وفي الوقت نفسه استطاع الأغالبة بأفريقية القيام بهجوم على صقلية أحد مفاتيح البحر المتوسط الهامة. وقد نجح الأغالبة في الاستيلاء عليها بسبب ضعف الأسطول البيزنطي[٢].

وهكذا انطوت صفحة السيادة البيزنطية البحرية وبدأت صفحة أخرى من النفوذ الإسلامي على البحار، وتأكد للمسلمين في أفريقية وكريت والأندلس- باعتبارهم حكام البحر المتوسط الجدد- بأنهم ورثة السيادة البحرية التي تمتعت بها بيزنطة مدة طويلة في البحر المتوسط.

ومما لا شك فيه أن بفضل انتصارات الأغالبة على الأساطيل البيزنطية، وتجريد البيزنطيين من معاقلهم البحرية في مالطة وقوصرة فضلا عن صقلية، كان لها أثرها في تداعي سيادة بيزنطة البحرية، واختفاء هيمنتها على تجارة البحر المتوسط. ولم يتم ذلك

(١) لمزيد من المعلومات عن فتح اقريطش انظر: محمد بن يوسف الكندي (ت ٣٥٠هـ): الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليوسعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٥٨ - ١٨٤؛ السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٧٥ -٨٢.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ١٠٢؛ المدني: المسلمون في جزيرة صقلية، ص٦٠.

إلا عن ضعف قوة بيزنطة البحرية، وظهور قوة بحرية جديدة هي قوة الأغالبة، إلى جانب قوة مسلمي كريت البحرية، ومسلمي الأمويين في الأندلس، فبالإضافة للجزر التي سيطر عليها الأغالبة فقد سيطر بعض مسلمي الأندلس على جزيرة كريت شرقاً، وسيطر مسلمو الأندلس على جزر البليار (Islas Baleares) غرباً. ولم يتبق إلا طريق واحد في يد البيزنطيين وهو الطريق الموصل بين القسطنطينية وبين البندقية، عبر البحرين الأيوني والأدرياني- وذلك لبعده عن خطر القواعد الإسلامية في البر والبحر- ورغم ذلك فإن هذا الطريق لم تستطيع البحرية البيزنطية استعماله قرابة الثلاثين عاماً لوجود قواعد إسلامية في بارى وطارنت، إلى أن تم القضاء على هذه القواعد بعد عام (٢٦٢هـ/٨٧٥م)[١].

وهكذا سيطر المسلمون على مداخل البحار الضيقة بواسطة ما سيطروا عليه من جزر أو قواعد بحرية. فمثلاً سدت كريت (crete) مدخل بحر إيجه، وسدت صقلية ومونت جاريليانو(Monte Gariliano) بجنوب إيطاليا مدخل البحر التيرانى، وسدت جزر البليار (Islas Baleares) وفراكسينت (fraxenet) خليج ليونز (Gulf of Lion). ورغم ذلك فقد حافظت بعض الشيء بيزنطة على سيطرتها على مضيق مسينا (Stretto di Messina)، الذى يصل بين شرق البحر المتوسط وغربه حتى عام (٢٩٠هـ/٩٠٢م). إلا أنها لم تكن سيطرة تامة بسبب تعاون نابلى وجاتيا وأمالفي مع القوى البحرية الإسلامية تعاوناً تأكدت صلاته أكثر من مرة. وهكذا يصح القول أن المسلمين في كريت (crete) وأفريقية والأندلس صاروا إذ ذاك سادة البحر المتوسط ومالكي زمام طرق التجارة الدولية فيه[٢].

(١) عبد الرزاق: الأغالبة ، ص٢٣١.
(٢) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٤٨- ٢٤٩.

المبحث الأول
العوامل المؤثرة في النشاط التجاري لدولة الأغالبة في حوض البحر المتوسط

تضافرت عدة عوامل فيما بينها أدت إلى ازدهار التجارة في حوض البحر المتوسط زمن دولة الأغالبة، منها:

١- الاستقرار السياسي والأمني:

لقد بذل الأغالبة قصارى جهدهم في سبيل تهيئة الظروف للنهوض بالأوضاع الاقتصادية في بلادهم، والعمل على ازدهارها واستقرارها، بعد الصراعات والحروب التي شهدتها في الفترة السابقة لعهدهم، ولعل أول عمل قام به الأغالبة في سبيل الوصول إلى استقرار الأوضاع الاقتصادية هو عملية تحقيق الأمن للبلاد، وذلك بالقضاء على كافة الفتن الداخلية سواءً ما كان منها سياسياً أو مذهبياً، وتأمين حدود دولتهم، وعمل ما يلزم لضمان سلامة أمنها كإحاطة المدن بالأسوار وإقامة الأربطة المختلفة، كما عملوا على تأمين سلامة حوض البحر المتوسط من القوة المعادية[1]، فغدت بلادهم مقر جذب للتجار، ورؤوس الأموال، ونشطت التعاملات التجارية الداخلية والخارجية، وازدهرت البلاد اقتصاديا وعم الرخاء والرفاهية في كافة أرجائها.

كما حرصت الدولة الأغلبية على تأمين الطرق التجارية البرية والبحرية الموصلة إلى موانيها ومراسيها، من ذلك الطريق البحري من الإسكندرية إلى موانئ أفريقية مثل سوسة وتونس ، فلم يكن هذا الطريق آمناً في بداية العصر الأغلبي بسبب

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٥؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٧٢؛ جوليان: تاريخ أفريقيا، ج٢، ص ٦٦. وانظر ما سبق في التمهيد فقرة أ، ب.

السيطرة البيزنطية على البحر المتوسط، ثم بعد سيطرة الأغالبة على البحر المتوسط والجزر الرئيسة فيه كصقلية، أصبح الطريق آمن، وغدت السفن التجارية بين الإسكندرية والموانئ الأغلبية(١).

٢- قوة البحرية الإسلامية الأغلبية:

كان لبحرية الأغالبة الدور الرئيس في الحركة التجارية البحرية النشطة بين شرق البحر المتوسط وغربه. فنتيجة لسيطرة المسلمين البحرية على البحر المتوسط ازدهرت الأوضاع الاقتصادية والتجارية في كل الأقاليم الإسلامية المطلة على البحر المتوسط. ولعل أكثر المستفيدين من هذا التحول هم سكان شمال أفريقية، والجزر الإسلامية في البحر المتوسط كجزيرة قبرص وكريت ومالطة. وأدت سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وبخاصة على الطريق البحري التجاري الذي يصل بين المغرب وسورية ومصر عن طريق صقلية وكريت وقبرص إلى زيادة أهمية الدور الذي قام به المغاربة كوسطاء في تجارة ذلك البحر(٢).

كما أدت سيطرة المسلمين على الطريق البحري التجاري السالف الذكر الذى يربط بين المغرب وسورية ومصر إلى حماية وتأمين الطريق البحري التجاري الذى كان يربط بين الإسكندرية وموانئ المغرب حتى سبته(٣). فقد كانت سفن المغاربة تقلع من الإسكندرية وتبحر محاذية لساحل المغرب

(١) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ١٠١..
(٢) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٢.
(٣) سبته: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها، أجود مرسى على البحر، كانت محصنة بسور قوي. ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م، ج٣، ص١٨٢.

وترسو في الموانئ المغربية التي تمر بها وأهمها طبرق[١]، ودرنة[٢]، وطلمينه[٣]، وأجابية[٤]، وسرت[٥]، وطرابلس، وقابس، حتى تصل آخر المطاف إلى سبته[٦].

٣- قوة الأسطول البحري الأغلبي:

امتلك الأغالبة أسطولاً بحرياً قوياً، استطاعوا من خلاله فرض سيطرتهم على حوض البحر المتوسط، ولقد استفاد الأغالبة من طبيعة أراضيهم والمواد الخام التي سخرها الله لهم لصناعة السفن وما يتعلق بها، فقد انتشرت غابات الأخشاب في العديد من مدن المغرب وجزيرتي صقلية وقوصرة، وكان يستخرج منها خشب الصنوبري القوي الذي تصنع منه ألواح السفن ، والصواري ، والمجاديف، كما توفرت في أراضي الأغالبة كمدينة بونه الساحلية المواد الخام كالحديد والذي كان لا بد منه لعمل المسامير والمراسي[٧]، كما توفر معدن النحاس والذي كانت تصنع منه السلاسل، وأما الحبال والألياف فكانت تصنع من المواد المتوفرة في أراضي الأغالبة،

(١) طبرق أو «طبرقه»: مدينة بالمغرب، على شاطئ البحر قرب باجة، عرفت بكونها مدينة عامره لورود التجار إليها، وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ١٦.

(٢) درنه: موضع بالمغرب، وهي من مدن باجة . انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٥٢.

(٣) طلمينه: مدينة مشهورة تقع غرب الإسكندرية، ومنها تحمل المراكب الشعير والعسل إلى غيرها من المدن. إسماعيل بن محمد أبو الفداء (ت ٧٣٣هـ): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م، ص ١٤٩.

(٤) أجدابيه: هي بلده بين برقة وطرابلس الغرب، لها مرسى على البحر، وهي أكثر بلاد المغرب نخلا وأجودها تمرا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٠٠.

(٥) سرت: مدينة على ساحل البحر الرومى بين برقه وطرابلس الغرب. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٤٩.

(٦) عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب «المسالك والممالك»، طبعة دي سيلان، الجزائر، ١٨٥٧م، ص ١٤-١٥.

(٧) محمد بن عبد الله الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م. ص: ١١٥.

كذلك القطران والزفت لتغليف السفن حتى لا تؤثر المياه في الواجهة المغمورة في البحر(١).

٤- إنشاء دور صناعة للسفن الأغلبية:

لم يكتفِ الأغالبة بصيانة وإصلاح دور السفن التي ورثوها عن الدولة الأموية؛ بل عملوا على إنشاء دور أخرى، وما ذاك إلا بسبب اهتمامهم بالبحرية لحماية سواحل أفريقية من خطر البحرية البيزنطية، مع ما قاموا به من مواصلة الجهاد في جزر حوض البحر المتوسط وجنوب إيطاليا(٢).

فقد اهتم الأغالبة بدار صناعة السفن في تونس، ثم شيدوا داراً أخرى لصناعة السفن في مدينة سوسة، لأجل أنها مدينة محصنة بسور، مما يشكل حماية لها، مع كونها تقع على الساحل الأفريقي للبحر المتوسط(٣).

أما دار الصناعة الثالثة في دولة الأغالبة فهي تلك التي أقاموها في مدينة طرابلس الغرب، الواقعة على شاطئ المتوسط والمحاطة بسور بصخري قوي البنيان(٤).

كما أنشأ الأغالبة بمدينة مسينا (Messina) بصقلية داراً لصناعة السفن، إذ تعد مدينة مسينا أحدى مدن الساحل الصقلي، فهي من القواعد ذات الأهمية البالغة لبحرية الأغالبة سواءً كانت الحربية أو التجارية(٥).

(١) سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٥٧- ٥٩.
(٢) سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٣١- ٣٢.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣١؛ ابن عذاري: البيان المعرب، ج١، ص ١٣٢؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٢١٦.
(٤) الأصطخري: المسالك والممالك، ص ٣٣.
(٥) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٩.

ومن دور صناعة السفن في دولة الأغالبة تلك التي أقاموها في جزيرة مالطة[1].

٥- إقامة الوكالات والفنادق التجارية:

خصصت الدولة الأغلبية أماكن لنزول التجار القادمين إلى موانئها من حوض البحر المتوسط، فخصصت للتجار المسلمين سواء القادمين إليها من بلاد المشرق الإسلامي من عراق وشاميين ومصريين، أو من جزر البحر المتوسط كصقلية وكريت، أو مسلمي الأندلس، خصصت لهم ما يعرف بالوكالة، وهو مبنى مكون من عدة طوابق، ملحق به مسجد، وقد خصص الطابق الأرضي لعرض بضائع التجار أو تخزينها، أما الطابق العلوي، فكان لسكانهم أثناء تواجدهم بالمدينة، ويشرف على الوكالة شيخ التجار، يتم تعيينه بموافقة جميع التجار، حيث يقع على عاتقة تنظيم أمور التجارة، ومباشرة عملية الصرف والإيداع وتغيير العملة، ومعرفة أسعار السلع المختلفة في السوق، وغير ذلك من مهام تتعلق بالتجار والتجارة[2].

أما التجار الأجانب «الأوروبيين»، فقد خصصت لهم الدولة على موانيها أماكن خاصة ينزلون فيها تسمى الفنادق، ويتكون الفندق من عدة طوابق، في الدور السفلي توجد المخازن والحوانيت، والجوانب التي تطل على فناء داخلي فسيح يسد البضائع أثناء تعبئتها وتفريغها، أما الأدوار العليا، فكانت معدة لسكن التجار، ويلحق بالفندق فرن وحمام، ويخضع لنظام الدولة في الفتح والغلق[3].

(١) الحميري: الروض المعطار، ص٥٢٠؛ سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص٥٨.

(٢) أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، بغداد، ج١، ص ٤٥١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص ٢٠٤، ٢٣٥؛ الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي «الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ٤٠٣هـ»، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ص ٥٨.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص ٣٢٧.

٦- إنشاء دار السكة لضرب العملة الأغلبية:

لعبت العملة الذهبية التي سكها الأغالبة دوراً كبيراً في الازدهار الاقتصادي الذى شهدته دولة الأغالبة، فقد أسس الأغالبة دار ضرب في مدينة القيروان كانت تضرب بها النقود الذهبية «الدنانير»، والفضية «الدراهم»، وأجزائهما، كالنصف والربع، وذلك لتقوية اقتصادهم بعملة قوية تجابه بها الدويلات الأخرى المعاصرة لها، وقد وجدت عدة مدن أغلبية أقيمت بها دار صناعة السكة، من أهمها مدينة القيروان، حيث كانت دار السكة وسط المدينة بجانب دار الإمارة والمسجد الجامع [١].

٧- رقي الصناعة الأغلبية، وتقدمها، وتنوعها:

لقد أدى النشاط البحري التجاري من قبل الأغالبة إلى ازدهار أحوال أفريقية الاقتصادية من زراعة وصناعة وتعدين وتجارة، إضافة إلى المنشآت والعمائر الخاصة بالنشاط التجاري والتي لم يبخل الأمراء الأغالبة في إقامتها وإنشائها، ففي المجال الزراعي أولى الأغالبة عناية فائقة بالثروة الزراعية في بلادهم، وذلك بتوفير المياه وشق القنوات والترع، وحفر الآبار، والعناية بتوزيع الأراضي، والاهتمام بتنوع المحاصيل الزراعية[٢]، فقد كانت زراعة الأغالبة وأكثر إنتاجهم الزراعي القمح والزيتون والنخيل، والفواكه والخضروات[٣].

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار ، تونس، ١٩٧٢م، القسم الأول، ص ٤٢٨، ٤٢٩؛ الطالبي: الدولة الأغلبية، ص ٧٥٧؛ ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٦١.

(٢) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٢٣؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج١، ص ٣٦٦.

(٣) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٤٩؛ مؤلف مجهول (من كتاب القرن السادس الهجري): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص١٥٠؛ حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٠م، ص٣٣.

وغدت تونس، بلداً زراعياً غنياً، اكتست أقاليمه الجنوبية بأشجار الزيتون والكروم، وفاضت سهوله الوسطى بالحبوب الوفيرة(١)، كما أدخل إليها زراعة بعض النباتات الشرقية مثل القطن وقصب السكر والزعفران، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية اتصال شمال أفريقية ببلاد الشرق الأدنى(٢).

وتدخلت الحكومة في تونس تدخلاً مباشراً لتنظيم الحياة الاقتصادية والتجارية، فأشرفت على الأسعار، وعلى مستوى الإنتاج، وأحوال الصناعة، عن طريق نظام الحسبة(٣).

كما عمل الأغالبة على دعم الصناعات المختلفة في دولتهم وتشجيع رعاياهم على امتهان الحرف والصناعات، ولعل الدور الذي قامت به السلطة الحاكمة في الإشراف على بعض الصناعات ذات الأهمية كصناعة الأسلحة والعملة والمنسوجات الأميرية، قد أدى إلى النهضة الصناعية وبالتالي إلى جودتها(٤). كما اشتهرت مدن الأغالبة كالقيروان وتونس وقابس وسوسة بصناعة النسيج خاصة المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية(٥)، واشتهرت القيروان بالمصنوعات الجلدية كالأحذية والأحزمة ولوازم الحروب من الجلود والسروج، وقد عرفت أوروبا هذه المصنوعات الجلدية؛ خاصة السروج (٦).

(١) عبد الله العروي، تاريخ المغرب ومحاولة في التركيب ، ترجمة: ذوقان قرقوط، ط١، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ١٩٧٧م، ص ١٢٣.
(٢) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص٢٥٤.
(٣) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص٢٥٣.
(٤) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص ٧٩.
(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٩؛ عثمان الكعاك: المجتمع التونسي في عهد الأغالبة، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٤؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ، ج ٢، ٢٨٤.
(٦) عبد الوهاب: بساط العقيق، ص ٣٥.

ونظراً لوفرة الخشب في منطقة أفريقية، إذ كانت منطقة الشمال كثيرة الأخشاب، تطورت الصناعات الخشبية بشكل كبير شمل النطاقين المدني والحربي، ولعل الصناعات الخشبية قد أسدت خدمات جليلة للبحرية حين تكفلت بصناعة السفن، فقامت في القيروان ومدينة سوسة دار لصناعة السفن(١).

وفي المجال الصناعي قامت في القيروان صناعة الزجاج والخزف المموه بالميناء، وامتازت أنواعه برقيها وجودتها، وكذلك أصبح النسيج من الصناعات الرئيسة بالقيروان، فكانت تنتج الفاخر من السجاد والمنسوجات والأقمشة الرقيقة التي اشتهرت بها(٢).

أما من جهة ازدهار التعدين في أفريقية فقد كان يتمثل بصفة خاصة في مدينة مجانه، وكان يستخرج من مناجمها الحديد والفضة والرصاص والأنتيمون (الكحل)، وقد استخدمت هذه الخامات بعد تجهيزها في دور الصناعة التابعة للأغالبة، وعلى الأخص في دار صناعة سوسه(٣).

كما نشطت الحركة التجارية في صقلية في أيام حكم الأغالبة، بعد أن كانت قد بلغت درجة كبيرة من التدهور زمن الحكم البيزنطي، وقد جاء هذا النشاط في الحركة التجارية في صقلية نتيجة لعدة عوامل منها موقعها الجغرافي المتميز بين أفريقية وإيطاليا وغرب أوروبا، وكذلك حرص الأغالبة على وجود أسطول لهم قوى في مياهها، يقوم بتأمين سيادتهم عليها وتأمين الاتصال بين إفريقية والجزيرة فضلاً على استخدامه في مواصلة الجهاد في بقية جزر البحر المتوسط وفي جنوب إيطاليا(٤)، أيضاً

(١) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٢١٥.
(٢) عبد الله العروي، تاريخ المغرب، ص ١٢٣- ١٢٤.
(٣) عبد الله العروي، تاريخ المغرب، ص١٢٣؛ ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٢-٢٥٣.
(٤) حامد زيان غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوروبا، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١ -٤.

ما عرف عن جزيرة صقلية من وفرة الإنتاج الزراعي بسبب إلغاء أمراء الأغالبة للإقطاعيات الكبيرة، وتشجيعهم تمليك مساحات زراعية صغيرة، هذا إلى جانب إحيائهم للزراعة الصقلية وإمدادها بأساليب ومحاصيل جديدة(١).

واعتنى ولاة الأمر الأغالبة بتطوير الصناعة بصقلية، وقد ساعدهم على القيام بهذا الدور قربها من شمال إفريقية، وقربها كذلك من إيطاليا(٢).

وهكذا كان لصقلية دورا كبيراً في النشاط البحري التجاري، فأخذت أساطيلها الإسلامية تجوب عرض البحر المتوسط محملة بتجارة كافة البلاد المطلة على شواطئه، سواء كانت هذه التجارة قادمة من الشرق أو من الغرب، كما أن موانى غرب أوروبا استعادت كثيراً من نشاطها التجاري نتيجة الانتعاش البحري التجاري بصقلية(٣).

وبالمقابل وجدت حركة تجارية داخل هذه الجزيرة خاصة بعد أن اهتم المسلمون بالصناعة بها فنشطت بعض الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي مثل صناعة السكر، وصناعة النسيج الكتانية والقطنية والحريرية التي فاقت إنتاج مصر والشام من حيث الجودة والرخص(٤)، وقد نقل المسلمون لصقلية نبات البربير (أو نبات البردى) فقامت عليه صناعة الورق الذى يفي باحتياجات حكام صقلية، وما يتبقى من الإنتاج كان يصنع حبالاً لاستخدامها في السفن(٥).

وبجانب هذه الصناعات قامت صناعة أخرى كصناعة دبغ الجلود، والتي بلغت درجة من الرقى والازدهار بصقلية(٦).

(١) فرانشيسكو غابرييلى: الإسلام في عالم البحر المتوسط، سلسلة كتب عالم المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١١٨.

(٢) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٠ -٥١.

(٣) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١- ٥٢.

(٤) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ، ص ٤٨.

(٥) محمد بن حوقل البغدادي (ت بعد ٣٦٨هـ): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م، ص ١١٧.

(٦) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٣٣٢.

كما أهتم الأغالبة باستخراج المعادن من أرض صقلية مثل معدن الفضة والنحاس والنوشادر[١]، والكبريت والذهب. ومن الجدير بالذكر أن الذهب يوجد بجبل كبير بصقلية وكان يطلق على هذا الجبل اسم جبل الذهب وكذلك وجد بصقلية معدن الحديد والرصاص[٢]، وأقام المسلمون على هذه المعادن صناعات راقية رفيعة الجودة[٣].

٨- توسيع قاعدة النشاط التجاري:

لقد اتسم النشاط التجاري بين أفريقية ودول المشرق الإسلامي وبين أفريقية وجنوب إيطاليا وصقلية بالتوسع والاضطراد، في حين كانت الصلات التجارية مع المغرب الأقصى حيث الأدارسة في فاس ودولة الأمويين في الأندلس كانت صلة في أضيق الحدود بسبب العداء السياسي الذي كان بين الأغالبة وبين تلك الدول والذي تأثر بعلاقة تلك الدول بالعاصمة الأم بغداد[٤]، على أن ذلك العداء لم يحل تماما دون وجود صلات تجارية، فقد فرضت الحاجة على الأغالبة القيام بمثل ذلك الاتصال، إذ كانت حاجتهم ماسة إلى الرقيق الأبيض من الأندلس والرقيق الأسود من غرب أفريقيا عبر بلاد المغرب الأقصى، وكذلك حاجتهم إلى الذهب من بلاد السودان[٥].

كما نتج عن سيادة الأغالبة في حوض البحر المتوسط أن سعت المدن التجارية الإيطالية التي كانت تعاني من قبل من السيادة البيزنطية شأنها في ذلك شأن المسلمين إلى كسب صداقة الأغالبة أصحاب السيادة[٦]. إذ لم تعد السفن البيزنطية منذ مطلع

(١) محمد بن أحمد المقدسي (ت ٣٨٧هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢، طبعة ليدن، ١٩٠٣م، ص ٢٣٩.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٨.
(٣) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٢.
(٤) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٤٩، ٥٨، ١٠٠.
(٥) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ١٩٥- ١٩٦.
(٦) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٣٤.

القرن (٣هـ/٩م) تقوم بما كانت تقوم به من دور أساسي في ميدان التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط[١]. لذا حرصت المدن التجارية الإيطالية كالبندقية ونابلي وسالرن وجانيا وأمالقي على توطيد علاقاتها التجارية مع الأغالبة على الرغم من كون بعض تلك المدن خاضعة للسيطرة البيزنطية والبعض الآخر لملوك الفرنجة، إلا أن الرغبة في الربح الاقتصادي حال دون أن تكون هناك آية عراقيل[٢].

وأما بالنسبة للحركة البحرية التجارية مع غرب أوروبا فقد لعبت بحرية المدن الإيطالية دور الوساطة التجارية عن طريق البحرية الإسلامية للأغالبة في حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب[٣]

وقد جنت دولة الفرنجة بعضاً من نتائج تلك العلاقة الطيبة بين الأغالبة والمدن الإيطالية إذ وصلت إليها تجارة الشرق التي كانت محرومة منها طيلة زمن السيادة البيزنطية على البحر المتوسط عن طريق متاجرتها مع البندقية[٤].

٩- السماح لأهل الذمة بممارسة الأنشطة التجارية المختلفة:

في محاولة منها لتنشيط التجارة في حوض المتوسط سمحت الدولة الأغلبية لليهود والنصارى بممارسة التجارة في موانئها وعلى مراسيها، وكان لليهود الرهادنة (يهود أسبانيا والمغرب) دور كبير في الحركة التجارية البرية والبحرية بين الشرق والغرب مرورا بالقيروان وبصقلية. فيذكر ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) أنهم: «يتكلّمون بالعربيّة والفارسيّة والروميّة والإفرنجية والأندلسيّة والصقلبيّة، وأنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برّا وبحرا، يجلبون من المغرب الخدم

(١) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٦٤ وما بعدها.
(٢) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٣٦.
(٣) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٦٧.
(٤) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٩٦.

والجواري والغلمان والديباج وجلود الخزّ والفراء والسمّور والسيوف، ويركبون من فنحة فى البحر الغربي ـ المتوسط ـ، فيخرجون بالفرما، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم، ...، ثم يركبون الجر الشرقي من القلزم إلى الجار وجدّة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصينى وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتّى يرجعوا إلى القلزم، ثم يحملونه إلى الفرما، ثم يركبون فى الجر الغربي، فربّما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينيّة فباعوها من الروم، وربّما صاروا بها إلى ملك فرنجة، فيبيعونها هناك، وان شاءوا حملوا تجاراتهم من فرنجة فى الجر الغربي، فيخرجون بأنطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية، ثم يركبون في الفرات إلى بغداد، ثم يركبون في دجلة إلى الأيلّة، ومن الأبلّة إلى عمان والسند والهند والصين كلّ ذلك متّصل بعضه ببعض»[١].

أما الطريق البرى الذى كان يسلكه تجار اليهود الرهادنة فكان يبدأ من الأندلس ويتجه إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الأقصى والأدنى والأوسط مرورا بالقيروان، المركز الرئيسى لتجارتهم العالمية هذه، حتى يصل إلى مصر، ومن مصر إما أن يتجه طريقهم إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم إلى العراق ماراً بالكوفة ثم إلى فارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين، أو يتجه إلى القلزم عبر البحر الأحمر إلى الجار وجدة[٢].

وعظمت ثروة أفريقية في عهد دولة الأغالبة نتيجة لهذا الازدهار الاقتصادي الذى تمثل في نشاط الحركة التجارية الداخلية والخارجية.

(١) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٢٦٧.
(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٣ – ١٥٥.

المبحث الثاني

المراكز التجارية للدولة الأغلبية

أ - مرافئ وموانى الأغالبة في حوض البحر المتوسط:

لقد تميز موقع دولة الأغالبة على حوض البحر المتوسط بطول الشريط الساحلي الأفريقي «المغرب الأدنى» التابع لهم، والذي يتصل بسواحل طرابلس[١] شرقا، ويشمل أفريقية التي تتكون من البلاد التي تقابل بلاد تونس الحالية تقريباً، ثم إقليم الزاب، وتصل إلى نهر شلف غربا أي إلى حدود المغرب الأوسط[٢]، فكثرت الخلجان التابعة للأغالبة على هذا الشريط، وكذلك الجزر البحرية، وقد تميز ساكني حوض البحر المتوسط بخوض غماره، والإبحار في أعماقه، ومعرفة أنوائه ورياحه، وطقسه وأمطاره، فيذكر ابن خلدون عن ساكني سيف البحر المتوسط أنهم أقدر الناس على ركوبه، وأن أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن القابعة فيه[٣].

ولقد بنى الأغالبة لهم المرافئ والمراسي على شواطئه وخلجانه، فبالإضافة لمرسى رادس بتونس[٤]، ومرسى سوسة، وكذلك مرسى طرابلس السابق الذكر في دور صناعة السفن، ووصف الحميري مرسى سفاقس، بأنه «محط السفن، ويقصده التجار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت»[٥].

ومن موانئ الأغالبة على الساحل الأفريقي للبحر المتوسط مرسى قابس،

(١) يذكر حسين مؤنس أن حدود إقليم طرابلس تبدأ عند قرية صغيرة إلى الغرب من صرت تسمى تاروغا وتنتهي عند قابس. معالم تاريخ المغرب، ص ٥٢.
(٢) سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص٤٨؛ مؤنس: معالم تاريخ المغرب، ص ٥٣.
(٣) عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ): المقدمة، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢٥٢.
(٤) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٧٥٩.
(٥) الحميري: الروض المعطار، ص٣٦٥.

وصفها البكري بأنها مدينة جليلة، مسورة بالصخر الجليل ، وأنها ذات حصن حصين، وأن ساحلها مرفأ للسفن من كلّ مكان[١].

كما امتاز مرفئ مدينة بونه بجودته وحسن بنائه وكونه مأموناً[٢].

أما جزيرة صقلية فقد حوت عدة مراسي على شواطئها من ذلك مرسى مدينة بلرم (Palermo)، يصفها الحميري بقوله: «دار الملك بصقلية في مدة الإسلام ومدة الروم، ومنها كانت تخرج الأساطيل للغزو، وهي على ساحل البحر والجبال محدقة بها ولها ساحل حسن، وفيها من المباني الحسنة ما هو مشهور، وفيها المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجارة، وبها الجامع الأعظم»[٣].

ومن مراسي صقلية ميناء مدينة مسينا (Messina)، وصفها الحميري فقال: «هي مدينة في ركن جزيرة صقلية في شرقيها، والجبال من الناحية الغربية محيطة بها، وهي إحدى قواعدها، ساحلها بهيج، وأرضها طيبة المنابت، وبها جنات وبساتين ذات ثمار كثيرة، وعليها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة، وهي من أجل البلاد وأكثرها عمارة، والسفر منها وإليها قصداً، وهي دار إنشاء، وبها حط وإقلاع، وبها إرساء من جميع بلاد الروم الساحلية، وبها تجتمع السفن الكبار والمسافرون والتجار من بلاد الروم والإسلام، وأسواقها رائقة وسلعها نافقة وقاصدوها كثير؛ وفي جبلها معدن الحديد الذي يتجهز به إلى جميع البلاد المجاورة لها، ومرساها عجيب مشهور ترسي به السفن العظام وتكون من الشاطئ بحيث يتناول ما فيها من البر بالأيدي»[٤]. ويصف ابن جبير مرساها بقوله: «ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية، لأن المراكب

(١) البكري: المسالك والممالك، ج٢، ص ٦٦٦.
(٢) الحميري: الروض المعطار، ص ١١٥؛ سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٥٠، ٥٢.
(٣) الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٢
(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٥٥٩.

الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسه وتنصب منها إلى البر خشبة يتصرف عليها، فالحمال يصعد بحمله إليها ولا يحتاج لزوارق في وسقها ولا في تفريغها إلا ما كان مرسيا على البعد منها يسيرا، فتراها مصطفة مع البر كاصطفاف الجياد في مرابطها واصطبلاتها»[١].

ومن مرافئ جزيرة صقلية مرسى مدينة طرابنش (Trapani)، وصفها المقدسي بقوله: «بحرية غربية مسورة»[٢]، وعنها يقول ياقوت: «ومنها يقلع إلى أفريقية»[٣]، ويذكر الحميري أن: «السفن منها وإليها لا تتعطل شتاءً ولا صيفاً، والبحر يحدق بها من جميع الجهات، وإنما يسلك إليها على قنطرة، ومرساها في الجانب الجنوبي منها، وهو مرسى ساكن غير متحرك تشتي فيه أكثر السفن آمنة من جميع الأنواء، موْجه هادٍ عند هيجان الرياح، ويصاد به السمك الكثير، ...، ويوجد ببحرها المرجان السنيّ، وعلى بابها سباخ الملح، ولها إقليم واسع الجهات، وأرضها من أكرم الأرضين في الزراعة، كثيرة الفوائد والغلات، وأسواق المدينة رحيبة، ومعايشها خصيبة،..، يسافر إليها في أيام الشتاء لجودة مرساها واعتدال بحرها وهوائها»[٤].

كما وجدت مراسى للسفن بجزيرة مالطة، من أشهرها مرساها الذي وصفه لنا البكري فذكر أن فيها: «مراس منشأة للسفن، وأشجارها الصنوبر والعرعر والزيتون»[٥].

ومن مراسي الأغالبة ومرافئه مرسى جزيرة قوصرة الواقعة بين صقلية وأفريقية، وتُرى من برّ إفريقية، لأنّ هذه الجزيرة عبارة عن جبل مشرف عال جدّا،

(١) محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير ، دار الهلال، بيروت ، ص ٢٦٦.
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٢.
(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٢١٨.
(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٣٩٠.
(٥) البكري: المسالك والممالك ، ج١، ص ٤٨٦.

تمتلك غابات من الخشب الجيّد، ويحمل منها إلى صقلّية، كما كان للجزيرة من جهة الجنوب مرسى مأمون(١).

ب - المدن التجارية الأغلبية:

نتيجة لاتساع رقعة الدولة الأغلبية، وعناية الحكام بالمدن والمراكز التجارية بها، ظهر العديد من هذه المدن والتي كان لها دور في النشاط التجاري في حوض البحر المتوسط، فقد كانت مدينة القيروان من أعظم المراكز التجارية أهمية في ذلك الوقت(٢).

وتميزت أسواقها وتنوعت، وكانت تسمى باسم اختصاصها التجاري أو ينسب البعض منها إلى أسماء أشخاص، أو فئة اجتماعية معينة مثل: سوق إسماعيل، وتاجر الله، وسوق هشام، أما بقية الأسواق المنسوبة إلى البضاعة، أو المهنة فهي: السوق الكبير- وربما المقصود به سماط القيروان الشهير، وسوق السراجين، وسوق الضرب، وسوق الجزارين، وسوق النحاسين، وسوق الزجاجيين، وسوق القطانين، وسوق الغزل، وسوق الخرازين، وحوانيت الكتانين، وحوانيت الفحامين، وحوانيت الصرافين(٣).

وشارك القيروان في هذا الازدهار الاقتصادي كثير من مدن أفريقية، مثل تونس التي كانت تعتبر مركزاً تجارياً هاماً أيضاً، وكذلك ققصة(٤) وبحاية والاربس وطبنة(٥).

(١) الحميري: الروض المعطار، ص ٤٨٦.
(٢) الحنجاتى، المغرب الإسلامي، ص ٢٩.
(٣) البكري: المسالك والممالك، ص ٢٧؛ الحنجانى: المغرب الإسلامي، ص ٦٧-٦٨.
(٤) ققصة، هي بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٢.
(٥) طبنة، بلدة في طرف إفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب ليس بين القيروان إلى سجلماسه مدينة أكبر منها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص٢١.

ولم تقل أهمية مدينة قابس الواقعة عند نهاية أحد الطرق الصحراوية عن المدن السابقة ولا عن سفاقس وسوسه. فقد كانت سفاقس مركزا هاما لصيد السمك وزيت الزيتون، كما كانت سوسه سوقا لزيت الزيتون أيضاً، وكانت دار صناعة رئيسية وثيقة الصلة بصقلية[١].

كما نشطت كذلك الحركة التجارية داخل جزيرة صقلية فازدحمت أسواقها التجارية بالبضائع والتجار، وتخصصت أسواقها، فكان لكل طائفة سوق خاصة، كسوق للصيارفة وآخر للصيادلة وثالث للحدادين، وكذلك للزياتين، والدقاقين، والطرازين والقصابين والسماكين والخبازين، والعطارين، والدباغين، والجزارين، والأساكفة والريحانيين والنجارين والفطائريين والحلاجين والحذائين، وباعة البقل والقمح والفاكهة، وغيرهم[٢]، وقد وجد بمعظم مدن صقلية فنادق ينزل بها التجار الأجانب[٣].

(١) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص٢٥٣، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٤٩٨.
(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ١١٤.
(٣) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٣.

المبحث الثالث

البضائع والسلع المتبادلة بين مدن حوض البحر المتوسط

أدى الازدهار الاقتصادي داخل دولة الأغالبة إلى انتعاش التجارة البحرية في البحر المتوسط، وترتب على ذلك تنوع السلعة التجارية المتبادلة بين مدن حوض المتوسط، فمن أهم السلع والبضائع التجارية التي كانت تصدر من مدينة القيروان زيت الزيتون، والذى يجمع من مناطق طرابلس والساحل التونسي ثم يصدر إلى الإسكندرية وصقلية وإيطاليا[١]، وكذلك كانت تجارة الرقيق من أنشط التجارات في هذه الفترة، سواء تجارة الرقيق الأبيض الذى كان يجلب من بلاد الترك بآسيا الوسطى ومن بلاد الصقالبة أي من أوروبا الوسطى والشرقية، أو تجارة الرقيق الأسود الذى كان يجلب من مناطق مختلفة من القارة الأفريقية مثل بلاد النوبة والحبشة وسواحل أفريقيا الشرقية[٢].

كما كانت سفاقس وسوسة مركزا هاما لصيد الأسماك، وزيت الزيتون[٣].

وتأتى تجارة الذهب في المركز الثاني من حيث الأهمية في التجارة العالمية في البحر المتوسط بعد تجارة الرقيق. فقد تدفق ذهب السودان عبر أفريقية إلى المشرق الإسلامي وإلى منطقة البحر المتوسط[٤].

كما صدرت مدن أفريقية إلى مصر القمح والخيل والمرجان والأخشاب التي كانت مصر بحاجة ماسة إليها، دعتها إلى استيرادها من أوروبا في عصر السيادة البحرية البيزنطية، وبصفة عامة فقد استوردت بلاد المشرق الإسلامي من بلاد

(١) ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٣، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي ، ج٢، ص ٤٩٨.
(٢) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٣.
(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٤٩٨.
(٤) الحنجانى، المغرب الإسلامي، ص ٣١ -٣٢.

أفريقية زيت الزيتون لا سيما من صفاقس، والعمائم السوسية، والفستق والثياب الحريرية من قابس[١].

أما أفريقية فقد استوردت من مصر المنسوجات المصرية الكتانية والتيلية الشهيرة[٢]. ومن القيروان كان ينقل العبيد الأسود من بلاد السودان وأفريقية إلى المشرق الإسلامي، فعلى سبيل المثال بلغ عدد العبيد في العهد الطولوني في مصر (أربعين ألفًا أتوا إلى مصر عبر القيروان بحراً[٣].

كما كان العبيد الأسود يأتي من بلاد السودان وينتقل عبر موانئ أفريقيا كالقيروان إلى بلاد الأندلس، وكذلك والنحاس والذهب والعاج والأحجار الكريمة، والزمرد واللؤلؤ المرصع والبلور والصمغ[٤].

كذلك تنوعت صادرات وواردات جزيرة صقلية، فمن الشرق حملت السفن التوابل والمنتجات الشرقية الفاخرة وبالمقابل تعود محملة من صقلية بمنتجاتها المختلفة من أقمشة كتانية أو حريرية، أو منتجات زراعية مثل الجوز واللوز والفستق والبندق، كذلك كانت السفن الصقلية تحمل منتجات فنية مختلفة، وتحفاً خشبية، وعاجية، ومعدنية، وأواني خزفية، وزجاجية، آتية بها من مصر والشام؛ لتسوقها في أوروبا، وبذلك نشطت تجارة غرب أوروبا وازدهر اقتصادها[٥].

صدرت البندقية إلى شمال إفريقية الرقيق الأبيض والخشب، كما صدرت نابلي

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٧٣؛ البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١٧؛ أرشيبالد لويس: القوى البحرية ، ص ٢٥٣.
(٢) عبد الرزاق: الأغالبة، ص ٦.
(٣) الاصطخري، إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة، ١٣٨١م، ص ٣٧؛ الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص ٣٠،
(٤) البكري: المسالك والممالك، ص ١٤٣؛ ارشيبالد لويس: القوى البحرية ، ص ٢٦١.
(٥) غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٢.

ومدن كمبانيا الصيد والمنسوجات، أما أهم المنتوجات التي صدرها الأغالبة للمدن الإيطالية ، ومدن حوض المتوسط فهي بلا شك ذهب السودان، والذي ظل يغذي مصانع ضرب العملة الذهبية في بلاد المغرب ومنطقة حوض البحر المتوسط طيلة ستة قرون ، كما كان يدعم حركة التبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب من جهة وبين المغرب والمشرق الإسلامي والبحر المتوسط من جهة ثانية(١).

ولا عجب في قيام القيروان بتلك الوساطة التجارية بين بلاد السودان والمدن الإيطالية وموانئ البحر المتوسط ، إذ كانت المدينة التي تتجهز منها القوافل.

كذلك كان الرقيق الأسود ضمن تجارة القيروان للمدن الإيطالية ومدن البحر المتوسط، حيث عرف الرقيق السوداني في تلك النواحي(٢).

وبهذه التجارة الرابحة انتقلت المدن الإيطالية من مجرد ثغور أو محطات تجارية إلى وسطاء للتبادل التجاري ، كما أدى حرصها على الربح إلى أن تضرب بعرض الحائط بأوامر بيزنطة وملوك الفرنجة وترتبط بصلات تجارية مع مسلمي أفريقية الأغالبة(٣).

كما نشط التجار الإيطاليون نشاطاً كبيراً في حوض البحر المتوسط من تجارة الشرق الأقصى في التوابل والبخور إذ كانوا بمثابة وسطاء فيها إلى أوروبا كلها، وقد كانت أوروبا بحاجة ماسة إلى توابل الشرق لاستخدامها في حفظ الأطعمة وصناعة العقاقير(٤).

---

(١) الجنحاني: المغرب الإسلامي، ص ٣٢.
(٢) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٢٥٣.
(٣) عبد الرازق: الأغالبة، ص ٢٣٦.
(٤) فؤاد الصقار: جغرافية التجارة الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٣م، ص ١٨؛ جوزيف يوسف: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٦٩.

وعموماً فإن أهم السلع التي كانت ترد في قائمة التبادل التجاري بين أفريقية الأغلبية ومراكز التجارة العالمية المتصلة بها هي: الخشب، والتمور، زيت الزيتون، الحبوب، القطن، الملح، اللحوم، العسل، الزبدة، السكر، الخزف، العنبر، المرجان، العطور، الصوف، المنسوجات، الورق، النحاس المصنع، الخرز، الشمع، الحديد، الفرو، الجلود[1].

(١) الحنجانى: المغرب الإسلامي، ص ٢٤.

الخاتمـــــة

من خلال البحث تبين لنا عدة نتائج منها:

- كان للاستقرار السياسي والأمني الذي عمل الأغالبة قصارى جهدهم في سبيل تحقيقه دوراً في ترسيخ دعائم الازدهار الاقتصادي لأفريقيا

- حرصت الدولة الأغلبية على تأمين الطرق التجارية البرية والبحرية الموصلة إلى موانيها ومراسيها.

- لعبت بحرية الأغالبة الدور الرئيس في الحركة التجارية البحرية النشطة بين شرق البحر المتوسط وغربه.

- امتلك الأغالبة أسطولاً بحرياً قوياً، استطاعوا من خلاله فرض سيطرتهم على حوض البحر المتوسط.

- تعددت دور صناعة السفن التابعة للدولة الأغلبية، مما أهلها أن تملك أسطولاً تجارياً كبيرا.

- خصصت الدولة الأغلبية أماكن لنزول التجار القادمين إلى موانئها من حوض البحر المتوسط، كالوكالات والفنادق.

- أنشأت الدولة دور السكة، فضربت العملة الأغلبية، بغية تحقيق الرخاء والاستقرار الاقتصادي.

- شجعت الدولة الأغلبية على الرقي بالصناعة، وتقدمها، وتنوعها، كما شجعت رعاياهم على امتهان الحرف والصناعات المختلفة.

- نشطت الحركة التجارية في العديد من جزر الأغالبة وعلى رأسها صقلية.

– كما كان لصقلية دورا كبيراً في النشاط البحري التجاري، كما أن موانى غرب أوروبا استعادت كثيراً من نشاطها التجاري نتيجة الانتعاش البحري التجاري بصقلية.

– نتج عن سيادة الأغالبة في حوض البحر المتوسط أن سعت المدن التجارية الإيطالية التي كانت تعاني من قبل من السيادة البيزنطية إلى كسب صداقة الأغالبة أصحاب السيادة التجارية البحرية في حوض البحر المتوسط.

– في محاولة منها لتنشيط التجارة في حوض المتوسط سمحت الدولة الأغلبية لليهود والنصارى بممارسة التجارة في موانئها وعلى مراسيها

– أدى الازدهار الاقتصادي داخل دولة الأغالبة إلى انتعاش التجارة البحرية في البحر المتوسط، وترتب على ذلك تنوع السلعة التجارية المتبادلة بين مدن حوض المتوسط، كتجارة المنسوجات، والزيوت، والمواد الخام كالذهب والرقيق، والتوابل وغيرها.

أما عن أهم توصيات البحث فجاءت كالتالي:

– العمل على تشجيع مثل هذه الدراسات والتي تعنى بإبراز الدور الحضاري للدولة الإسلامية.

– إقامة مراكز علمية متخصصة بدراسة التطور الحضاري للدولة الإسلامية وأثره على مدن حوض البحر المتوسط، والتأكيد على أن الدولة الإسلامية هي دولة سلم وسلام، ورقي وحضارة.

الملاحـــــق

قائمة تبين تسلسل أمراء الأغالبة

١. إبراهيم بن الأغلب ١٨٤-١٩٦هـ/ ٨٠٠ -٨١١م.

٢. عبد الله بن إبراهيم ١٩٦ -٢٠١هـ/ ٨١١- ٨١٦م.

٣. زيادة الله بن إبراهيم ٢٠١- ٢٢٣هـ/ ٨١٦ - ٨٣٧م.

٤. أبو عقال الأغلب بن إبراهيم ٢٢٣ -٢٢٦هـ/ ٨٣٧ -٨٤٠م.

٥. محمد بن أبي عقال الأغلب أبو العباس ٢٢٦ - ٢٤٢هـ/ ٨٤٠ - ٨٥٦م.

٦. أحمد بن محمد ٢٤٢ - ٢٤٩هـ/ ٨٥٦ - ٨٦٣م.

٧. زيادة الله الثاني بن محمد ٢٤٩ - ٢٥٠هـ/ ٨٦٣ - ٨٦٤م.

٨. محمد بن أحمد ٢٥٠ - ٢٦١هـ/ ٨٦٤ - ٨٧٤م.

٩. إبراهيم بن أحمد ٢٦١ - ٢٨٩هـ/ ٨٧٤ - ٩٠٢م.

١٠. عبد الله بن إبراهيم ٢٨٩ - ٢٩٠هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٣م.

١١. زيادة الله الثالث بن عبد الله ٢٩٠ .٢٩٦هـ/ ٩٠٣ .٩٠٩م. توفي سنة ٢٩٩هـ.

خريطة توضح سيطرة الأغالبة على حوض البحر المتوسط

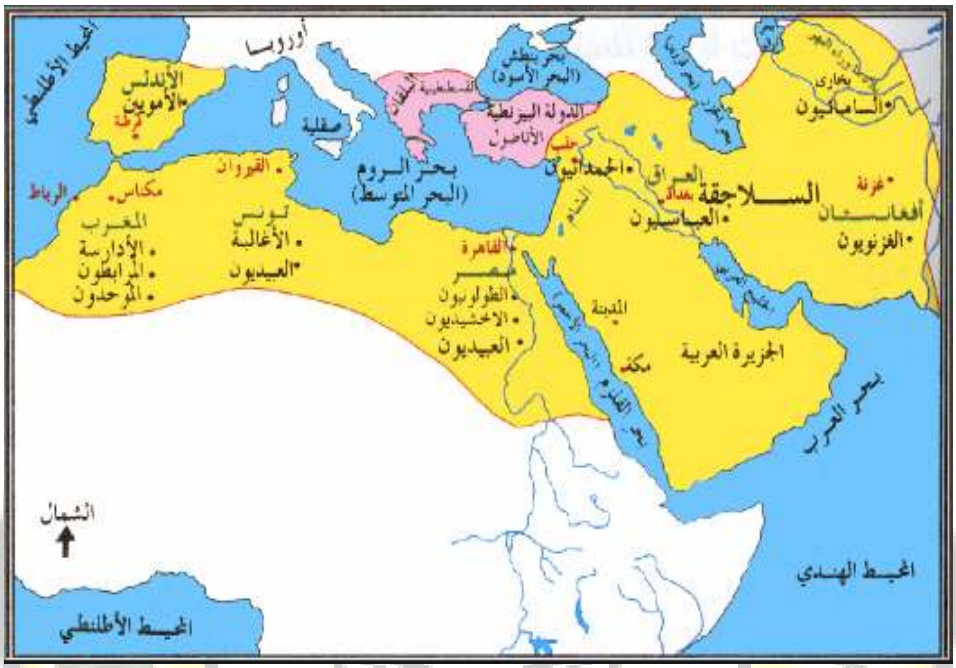

أحدى سفن الأسطول الإسلامي في العصر العباس

١.الصور من موقع: http://islamstory.com/ar في ٢/ ديسمبر/ ٢٠١٥م

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

٢. ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ

٣. ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير ، دار الهلال، بيروت.

٤. ابن حوقل، محمد البغدادي (ت بعد ٣٦٨هـ): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

٥. ابن حيان القرطبى، محمد (ت ٤٦٩هـ): المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٦. ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ): المقدمة، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٧. ابن عذاري، محمد بن محمد (ت٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ريخرت دزري، مكتبة صادر، بيروت، ١٨٤٨م.

٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م،

٩. أبو الفداء، إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٣هـ): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

١٠. الاصطخري، إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة، ١٣٨١م.

١١. البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب «المسالك والممالك»، طبعة دي سيلان، الجزائر، ١٨٥٧م.

١٢. الحميري، محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م.

١٣. الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ): الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليوسعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

١٤. المقدسي، محمد بن أحمد (ت ٣٨٧ه): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٢، طبعة ليدن، ١٩٠٣م.

١٥. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة المثنى، بغداد .

١٦. مؤلف مجهول (من كتاب القرن السادس الهجري): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.

١٧. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، مكتبة الثقافة، بيروت.

١٨. ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م.

ثانياً: المراجع العربية:

١٩. أحمد توفيق المدني: المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، طبع سيركوز، ١٣٦٥هـ.

٢٠. جوزيف يوسف: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

٢١. حامد زيان غانم: تاريخ الحضارة الإسلامية في صقلية وأثرها على أوروبا، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٢. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي «الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ٤٠٣هـ»، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس.

٢٣. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٤. حسن حسني عبد الوهاب: بساط العقيق، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٠م.

٢٥. حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٧٢م، القسم الأول.

٢٦. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٧. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.

٢٨. السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٩. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير «العصر الإسلامي»، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٣٠. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في عصر الإسلام، «دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية»، دار النهضة العربية، بيروت.

٣١. عبد الله العروي، تاريخ المغرب ومحاولة في التركيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، ط١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٧م.

٣٢. عثمان الكعاك: المجتمع التونسي في عهد الأغالبة، بيروت، ١٩٥٨م.

٣٣. فرانشيسكو غابرييلى: الإسلام في عالم البحر المتوسط، سلسلة كتب عالم المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٤. فؤاد الصقار: جغرافية التجارة الدولية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٣م.

٣٥. محمد الطالبي: الدولة الأغلبية «التاريخ السياسي ١٨٤- ٢٩٦هـ»، تعريب: المنجي الصياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٦. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، «من الفتح إلى بداية عصر الناصر»، العصر الأول - القسم الأول- ط٣، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٣٧. محمود إسماعيل عبد الرزاق: الأغالبة وسياستهم الخارجية، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٢م.

ثالثاً: المراجع المعربة:

٣٨. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٣٩. ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩م.

٤٠. شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي والبشير سلامة، ط٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م.

رابعاً: مواقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

٤١. **http://islamstory.com/ar** في ٢/ ديسمبر/ ٢٠١٥م